التحليل الفني لمقالات البشري

الباحثة/ رانيا عمر عبد العزيز محمد

ملخص باللغة العربية :

إن البشري كاتب ساخر يحب الفكاهة وقد تأتي هذه السخرية من الحياة التي كان يعيشها البشري ويتخلل أسلوبه المزاح والفكاهة ففي مقال يا لطيف استنكر كيف للبشر أن يسهروا ليل رمضان حتي آذان الفجر ثم يقوموا في الصباح الباكر ليبدءوا أعمال ويقضوا مصالحهم وفي نهاية المقال يطالب الحكومة بأن تمنع الصيام إذا لم تستطع منع الشحاذين والباعة الجائلين.

أما في مقاله الدكتور علي بك إبراهيم فقد وصف ملامحه ، ووصف شخصيته وقال أنه شديد العطف علي أخوانه الأطباء عامة، عظيم العون لجماعتهم ، رطب اللسان فيهم و أنهي مقاله بأن علي إبراهيم غير ولوع بجمع المال فلو كانت لغيره تلك الأصابع لأحرز أكثر مما تجدي الجراحة أضعاف الأضعاف.

الملخص باللغة الانجليزية:

Al-Bishri is a satirical writer who loves humor, and this irony may come from the life that Al-Bishri was living, and his style is permeated with banter and humor. Fasting if you cannot prevent beggars and street vendors.

In his article, Dr. Ali Bey Ibrahim, he described his features, described his personality, and said that he is very sympathetic to his brothers, the doctors in general, great help to their group, a soft tongue in them and he ended his article that Ali Ibrahim was not fond of collecting money. folds.

المقدمة:

يعد عبد العزيز البشري من الكتاب العظماء الذين كان لهم بصمة هائلة في الأدب العربي بأكمله و إلي يومنا هذا وهو يؤثر علينا بمقالاته وفكاهاته التي تخرجنا من الحزن إلي الفرح، وهو الشيخ عبد العزيز سليم البشري ولد في القاهرة عام ١٨٨٦ كان يفضل الأسلوب الساخر في حياته حتي أطلق عليه (شيخ الساخرين) لأنه كان يخلط الجد بالهزل واستخدم البشري أساليب مجازية كثيرة وقد برع فيها كثيراً ولديه موهبه التلاعب بالألفاظ ، ويتخلل أسلوبه بعض السجع، وكان أحياناً يستخدم الكلمات العامية في ثنايا كتاباته، وكان يلجأ إليها من أجل نكتة بلاغية بعيدة الأهداف أو طرفة أدبية ويظهر كل هذا في مقالاته وقد تناولت مقالين لكي استشهد بهما وهما :

١-مقال يا لطيف ٢- مقال الدكتور علي بك إبراهيم

أسلوب عبدالعزيز البشري:

اتبع البشري الأسلوب الساخر في كتاباته، حتي أطلق عليه (شيخ الساخرين) ، لأنه كان يخلط الجد بالهزل، وقد أسس بفضل هذا الأسلوب مدرسة خاصة تميزت بالأسلوب السهل الممتنع وقد لقبه عميد الأدب العربي " طه حسين " بـــ (كاتب النيل) ، وقد رسم صورة للمجتمع المصري وهو تحت الاحتلال ، وكان حسه ساخر بين الأوساط الفكرية والأكاديمية ، ولقب أيضاً بـــ (جاحظ العصر) وقد تأتي هذه السخرية من الحياه التي كان يعيشها البشري.

والبشري تجتمع في أدبه بعض الخصال أنه مصري قاهري وهو في الوقت نفسه قد تسربت إلي عقله و إلي ذهنه جوانب من الثقافة الأوروبية مع أن الدكتور طه حسين لم يصرح بهذا ولكنه يتضح في ترجماته فقد دعي إلي أن نتوقف فيما نحتاجه من الثقافة الأوروبية ونتربث فيما نأخذه منها ، وكان يرفض الذوبان في الثقافة الغربية وهذا أمر يرفضه الكثير من الكتاب.

واستخدم البشري أساليب مجازية كثيرة وقد برع فيها كثيراً ولديه موهبة التلاعب بالألفاظ وانتقاء المفردات وقد اشتهر ببراعته في الوصف باستخدامه للعبارات المصورة المجسمة للمشهد ، وهو يستخدم التنغيم الموسيقي الناتج عن قصر الجمل والمزاوجة ويستخدم المزاح أيضاً والفكاهة الساخرة ، ويتخلل أسلوبه بعض السجع وذلك ليُقبل الجميع علي قراءة مقالاته والاستمتاع بظرف ولطف الشيخ عبد العزيز البشري، وكان واسطة العقد بين هؤلاء الظرفاء الذين ملأوا الدنيا مرحاً ومنهم حافظ إبراهيم ، ومجوب

ثابت ، حسين شفيق المصري ومحمد البابلي و إمام العبد ومحمد بكير وغيرهم من أعلام الظرف والأدب و قد اعتمد البشري علي الألفاظ العذبة المنتقاه، وآثر الجمل القصيرة الموحية والتي تمتاز بالإيقاع والسلامة، وبأسلوبه هذا يدخل إلي القلوب وإلي الآذان ويمتع المشاعر والأحاسيس فيجعلها تفهم وتطرب وتتمتع وتستلذ، ومع ذلك فقد لجأ في بعض الأحيان إلي الجمل العذبة متوسطة الطول مع أنه يفضل الجمل القصيرة.

وكان البشري أحيانا يستخدم الكلمات العامية في مقالاته فيقول عنه الدكتور (جمال الدين الرمادي)

" وقد كان البشري يستخدم بعض الألفاظ العامية في ثنايا كتاباته وقد يضيق بذلك المتزمتون ، ويثور من أجل ذلك المتهورون ،،، بيد أن البشري الذي عمل مراقبا في المجمع اللغوي ، ونعاه رئيس المجمع ورثاه رثاء حزينا ، لم يكن في يوم من الأيام يترخص في اللغة أو يسف في التعبير إنما كان يلجأ إلي هذه الألفاظ العامية أو هذه الأمثال الشعبية من أجل نكتة بلاغية بعيدة الأهداف طرفة أدبية تثير العجب والإعجاب وتدعو إلي البهجة والانشراح[1]

وهذا كان رأي الدكتور (جمال الدين الرمادي في الشيخ عبد العزيز البشري حيث أنه يمس القلوب مسا رفيقا رقيقا، وهو يتخذ لنفسه أسلوبا جميلا جليلا.

فهو رجل من الشعب يحس آلامه، ويعبر عن آماله وما يجيش في نفوس أبنائه من رغبات و أمنيات .

يا لطيف![2])

تعلم أن رمضان يقظان الليل نائم النهار، يَجْمُد الناس وتَفْتُر الحركة في نهاره ويسهرون ليله، ويقضونه في وجوه السمر، ولهذا تُؤَخِّر الحكومة مواعيد افتتاح الدواوين والمصالح والمحاكم والمدارس، ولهذا تُعَطَّل المعاهد الدينية طوال الشهر المبارك، لأنه إذا كان قُدِّر على الناس أن يسهروا عامة ليلهم في رمضان، فليس من المستطاع أن يَنْشَطوا في الصباح الباكر لقضاء مصالحهم ومعالجة أسبابهم، على أنك فوق هذا، تَجِد سائر الأعمال جامدة راكدة في نهار رمضان، بحكم صيام الصائمين، واختلال أمزجتهم، وفتور أعضائهم من جهة، وبحكم قضاء الليل في السهر، وحاجة الناس إلى التزود من النوم في النهار من جهة أخرى، إلا أن إخواننا الباعة وسادتنا الشحَّاذين لم يُسَلِّموا إلى الآن بقضاء

[1] الدكتور جمال الدين الرمادي ، عبد العزيز البشري، أعلام العرب ٢٤ وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ص٤، ص٥

[2] نُشِرَتْ في جريدة «السياسة» تحت عنوان «ليالي رمضان.«

الله، ولا بقضاء الطبيعة، ولا بقضاء العادة، ولا بقضاء الحكومة، ولا بقضاء أمزجة الناس، وإنك لتقضي ليلك كله في السهر إلى الساعة الثالثة بعد نصف الليل أو الرابعة أو الخامسة، ويكون من حق الطبيعة، ومن حق بدنك عليك، ومن حق العمل الذي تعالجه أن تنام، على الأقل، إلى الساعة الثامنة أو التاسعة أو العاشرة، وإلا انْهَدَّ جسْمُك، واخْتَلَّتْ أعصابك، وفسد عليك شأنك كله

فتَصَوَّر يا سيدي أنك نمْتَ خلال تلك الساعات، فلم يَرُعْكَ إلا النداء القوي المزعج يَبْعَثُك من أحلى رقداتك في الساعة السادسة: «ونبيض النحاس، ونبيض النحاس»؛ أو: «البدارى السمان»؛ أو غير ذلك مما يحمله أولئك الباعة المترفقون بأبدانهم المضطربون بسلعهم، وإني لأسمع صرخة الرجل منهم فأجزم بأنه لا يعرض سلعته على أهل الأرض، ولكنه إنما يعرضها على سكان الملأ الأعلى، حتى إنك لتكون في ضجعتك الهانئة بعد قضاء ليلك الأطول، فإذا بك قد هَبَبْتَ من نَوْمك وأنت تَظُنُّ أن الحرب قد نشبت، أو أن النار قد أَكَلَتْ أثاث بيتك، أو أن سقوف الدار قد خَرَّت على عيالك، فإذا الخطب كله أن بائعًا ينادي «البدارى السمان» أو أن شحاذًا يصيح: «من فطر صايم له أجر دايم هنيالك يا فاعل الخير»، والناس إنما يشترون صغار الفراريج ليطهوها لإفطارهم إذا نزلت الشمس للمغيب، ولا أدري لماذا يشترونها في فجر يومهم، اللهم إلا أن يكون قد دَخَلَ في وَهْم أولئك الباعة أنها ستَكْبُر عند «الزباين» وتَسْمُن، حتى إذا دَخَلَ وقت الغروب استحالت «عتاقي» وأمْسَت «بيجاوي.«

أما أمر الشحاذين فأعجب وأغرب «من فطر صايم له أجر دايم إلخ» وذلك من منتصف الساعة السادسة صباحًا، أي أن على الأمة أن تَسْهَر، بحكم طبيعة رمضان، إلى الساعة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة صباحًا، ولكن عليها في الوقت نفسه أن تَهُبَّ من منتصف الساعة السادسة، وتُشَمِّر عن سواعدها وتنشط في «تقشير البصل»، وإنضاج «التقلية»، وخرط «الملوخية»، و«تقميع البامية»، و«تحمير البطاطس»، و«فلفلة الأرز» و«دق الكفتة» و«تسوية الكنافة»، و«قلي السمك البربون»، و«نقع الخشاف» للسادة الشحاذين!

نعم يجب على الأمة كلها أن تَنْثُر أيديها من كل عمل إلا ما يجب عليها من معالجة الطعام وتهيئته لسادتها الشحاذين، حتى إذا حان وَقْت الإفطار قُرِّبَتْ إليهم كل ما ساغ من لحوم طرية، وأطعمة شهية، وفواكه جنية!

وبعْدُ فإن على الحكومة أن تختار بين أمرين: إما مَنْع الشحاذين وحَسْم الباعة من أن يصيحوا ويهتفوا في رمضان قبل الساعة التاسعة على الأقل، حتى تَستَطِيع الأُمَّة أن

تُريح بدنها وتستجم لأعمالها، وإما أن تَأْمُر بإلغاء شهر رمضان بتاتًا، لتُوَفِّر الأمة جهودها على الباعة والشحاذين، بحيث «تنخمد» من الساعة التاسعة مساء ليتهيأ لها أن تَهُبَّ من الفجر «لتشتري البدارى السمان»، أو «لتبيض النحاس»، ولتهيئ أشهى الطعام وأجنى الفاكهة لسادتها «الشحاذين» وعلى الحكومة السلام، وعلى الأمة هجْر المنام وترك الصيام!

يا لطيف [1]

هنا يتضح أسلوب البشري في انتقاء ألفاظه العزبة واستخدامه للعبارات القصيرة حينما تحدث في هذا المقال عن شهر رمضان الشهر الفضيل الكريم فقد استخدم عبارات قصيرة مثل "يقظان الليل " و" نائم النهار" و " يسهرون ليله "

وهو هنا في حالة استنكار كيف للبشر أن يسهروا ليل رمضان حتي آذان الفجر ثم يقوموا في الصبح الباكر ليبدءوا أعمالهم ويقضوا مصالحهم

ويذهب إلي الباعة والشحاذين الذين لا يتركوا البشر يرتاحوا باكرا بل يصيحوا بأصواتهم العالية مستخدما عبارات قصيرة أيضاً مثل: " إخواننا الباعة" و " سادتنا الشحاذين " و " قضاء الله " و " قضاء الحكومة" و" قضاء العادة " و " قضاء الطبيعة ". و " قضاء أمزجة الناس" و " انهد جسمك " و " اختلت أعصابك".

وإذا نظرنا إلي قوله " فتصور يا سيدي أنك نمت خلال تلك الساعات ، فلم يرعك إلا النداء القوي المزعج يبعثك من أحلي رقداتك" فهذا يؤكد علي شدة استياء البشري لما يحدث وعندما استخدم عبارة " أحلي رقداتك " فهذا دليل علي أن الانسان كان في سبات عميق مثله مثل الراقد في قبره لا يشعر بشئ فقد انتقي اللفظ هنا ليؤكد علي شدة عمق النوم ، وقد وصف الباعة بأنهم مترققون بأبدانهم مضطربون بسلعهم .

و ألفاظه هنا عذبة منتقاه فيقول " و إنني لأسمع صرخة الرجل " فهذا دليل علي شدة الازعاج الذي يحدثه الباعة الجائلين ، ويستخدم التضاد هنا في عبارة " لا يعرض سلعته علي أهل الأرض إنما يعرضها علي سكان الملأ الأعلى"

ليؤكد فكرة الازعاج الذي يحدثه هؤلاء الباعة الجائلين ويؤكد علي أن صوتهم جهور مرتفع لدرجة لا تطاق

ويستخدم عبارة " ضجعتك الهائنة " لتدل علي الهدوء الذي كان فيه قبل صياح هؤلاء الباعة الجائلين .

[1] عبد العزيز البشري، المختار، الجزء الأول: طبعه لجنة التأليف والترجمة والنشر

ولننظر لعبارة " ليلك الطويل " لتدل علي شدة طول الليل الذي انقضي في السهر وانتظار السحور وبعده الآذان .

وأيضاً عبارة " هببت من نومك " تؤكد شدة ازعاج هؤلاء الباعة الجائلين فكلمة هببت استخدامها للتشبيه بهبوب الرياح والعواصف فكأن صوت الباعة الجائلين فكلمة (هببت) استخدمها للتشبيه بهبوب الرياح والعواصف فكأن صوت الباعة الجائلين المزعج يجعلك تهب هبا مثل العاصفة.

ويصور أيضاً هذا الصوت المزعج بالحرب التي تنشب وتندلع فيقول " وأنت تظن أن الحرب قد نشبت" ويشبه أيضاً بالنار التي تأكل أثاث البيت فيقول " أو أن قد أكلت أساس بيتك " ويكمل حديثه عن استياءه من هذا الصوت المزعج ويكمل تشبيهه فيقول " أو أن سقوف الدار قد خرت علي عيالك " فهو شبه الصوت المزعج هذا بلحظه سقف الدار وانهياره وكل هذه التشبيهات تؤكد فكرة الانزعاج الذي يحدثه هؤلاء الباعة الجائلين.

وتظهر طبيعة البشري الساخرة هنا عندما يتعجب لأولئك الذين يشترون صغار الفراريج ليطهوها لإفطارهم إذا نزلت الشمس للمغيب ويتعجب أيضاً من أنهم يشترونها في فجر يومهم كأنها ستكبر عند الزبائن وتسمن.

ويستطرد الفكاهة الساخرة والمزاح فيقول "استحالت عتاقي" و"أمست بيجاوي" و "تقشير البصل " و "إنضاج التقلية " و " خرط الملوخية " و " تقميع البامية " و" تحمير البطاطس" و" فلفلة الأرز و " دق الكفتة" و " تسوية الكنافة " و " قلي السمك البربون" و " نقع الخشاف " و يكمل سخريته من الشحاذين فيقول أنه يجب علي الأمة أن نترك أي عمل وتتجه إلي تسوية الطعام وتهيئته للسادة الشحاذين.

– وإني لأختلف معه في هذه النقطة فقد بالغ في سخريته كثيراً عن الباعة وعن الشحاذين فلا صياح الباعة سيكون مثل اندلاع الحرب ولا طلب الشحاذين هو الذي سيعطل الأمة عن مصالحها وماذا يحدث إذا ساعدنا هؤلاء الشحاذين خصوصا أننا في الشهر الفضيل الكريم بالعكس سيتقبل الله صيامنا ويزيد أجرنا، و إن كان البشري قد بالغ في تصويره فهو أراد أن يعالج هذه العادة الاجتماعية السيئة.

وأنهي مقاله بطلب للحكومة إما منع الشحاذين والباعة من الصياح قبل الساعة التاسعة علي الأقل أو تأمر بإلغاء شهر رمضان بتاتا.

حتي توفر الأمة جهودها علي الباعة والشحاذين وعلي الحكومة السلام وعلي الأمة هجر المنام وترك الصيام.

وإني لأختلف مع البشري في هذه النقطة أيضاً فهو يطلب من الحكومة أن تمنع الصيام إذا لم تستطع منع الشحاذين والباعة فالحكومة ليس باستطاعتها منع الصيام لأنه أمر من الله تعالي حيث قال في كتابه الكريم " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان هدي للناس وبينات من الهدي والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو علي سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله علي ما هداكم ولعلكم تشكرون "[1] صدق الله العظيم .

الدكتور علي بك إبراهيم:

رقيق الجسم، أدنى إلى أن يكون هزيله، أسمر اللون، مستطيل الوجه، غليظ الشفتين في غير قبح، واضح الثنايا، لعينيه بريق وفيهما جمال. متفخم اللفظ، تاؤه بين التاء والطاء، وزايه بين الزاي والظاء، وادع النفس، هادئ السعي، خفيف الروح، ظريف المجلس، لا يجد العنف إلى عواطفه سبيلًا، يقصد في طربه، كما يقصد في غضبه.

فيه حَدُّ الفتى وحلم المزكَّى وحجَى الكهل وارتياح الغلام ولعل هذا الهدوء العجيب من أبلغ العناصر في نجاحه في عمله المرعب الدقيق، وشأنه كشأن جميع النوابغ في الدنيا: ليس لهم من مظاهرهم ما يدل على أخطارهم، إلا أنك لا تستطيع ألا تلحظ أن لهذا الرجل أصابع ليست من جنس أصابع سائر الناس، فإنها تسترعيك بطولها وسراحتها وانسجام خلقها، على أنه إذا تحدث رأيته يستعين دائمًا بسبابته ووسطاه، فما تزالان كالمقص في انفراج والتئام إلى أن يفرغ من حديثه، حتى إنك لتعرفه من أصابعه كما تعرفه من وجهه، ولو قدر لمصور أن يرسم أصابعه وحدها لدلت عليه إلى غاية الزمان. لقد تسنم غارب المجد، وبلغ من الشهرة ما تتقطع دونه علائق الآمال، وهو مع هذا لا يحفل قط بما كان ولا بما سيكون ولا بما سوف يكون، ولا تحسبه يطمع في أكثر من أن يعيش في غمر الناس كسائر الناس.

فيه شفاء للناس.

يا له من رجل! لقد تكون في مجلسه معه غيرك، ولقد تكون معه وحدك وأنت مفيض أسبابه ومطلع سره، فتعرض ذكرى فلان الجراح فيقول لك: «بالك فلان ده، ويومئ لك بأصبعيه سالفتي الذكر، ده والله جراح ما له مثيل! ده شيء من فوق التصور! لو كان للجدع ده بخت ماكانش حد زيه في الدنيا!» يقول هذا في رضا وصدق نفس وراحة أعصاب! ... والواقع أنني لا أدري أكان هذا كله قد جاءه من طبيعة صفَّاها الله من كل

[1] الآية " ١٨٥" من سورة البقرة .

ما يتداخل أرباب الفنون، أم أنه تمكن من نفسه واستوثق من أنه لن يتعلق أحد بغباره مهما افتنَّ لإخوانه الجراحين في ألوان الشهادات!

ثم هو شديد العطف على إخوانه الأطباء عامة، عظيم العون لجماعتهم، رطب اللسان فيهم.

ومن أظرف نوادره، أن رجلًا من كبار الأغنياء قدم إليه يشكو علة لا تتصل بالجراحة، فقال له: يا عم لا شأن لي بمرضك، فاذهب إلى الدكتور فلان أو الدكتور فلان أو الدكتور فلان، فهم الذين يحسنون «تشخيص» علتك، ويقدرون على علاجك. فقال الرجل: بل إنما قصدت إليك أنت ولست أرضى أحدًا يداويني غيرك، وجئت معي بكذا وكذا من الأموال فخذ مني، على أن تعالجني، ما تشاء! فقال له الدكتور: وأنت إذا أعطيتني ما تشاء فلن أداوي علتك؛ لأنها ليست من عملي ولا تتصل بفني، إنما أنا رجل جراح. فألح الرجل وتضرع، فلما أعياه أمره قال له: اسمع يا عم، لو تلف «كالون» بيتك، هل تجيء له بنجار أم بكواليني؟ فقال: بل بالكواليني. فقال له: مرضك هذا أنا لا أعرف فيه. قال الرجل: فماذا تصنع إذن؟ قال له: أنا أفتح لك كرشك، أكسر رجلك، أقطع رقبتك! وهذا الذي أعرفه. فانصرف الرجل مقتنعًا راضيًا!

ولست أحاول أن أصف لك قدر الدكتور علي إبراهيم ولا نبوغ مبضعه، فحسبه أن سلم الناس إجماعهم له بأنه مفخرة من مفاخر هذه البلاد. ولقد قلت لأحد الأطباء يومًا: صف لي براعة الدكتور علي إبراهيم، فقال لي: أعرف أنك تحب الغناء وتهوى الموسيقى، ولو كان لك عرق في فن الجراحة وقدر لك أن تشهد «عملياته»، لوجدت لأنامله من الطرب ما لا تجده لأنامل «العقاد» وهي منطلقة في أوتار قانونه الحنان الطروب.

على أن نبوغه لم ينته إلى حذق الطب، والمهارة البارعة في فن الجراحة، بل إن له في كثير من «العمليات» ابتكارات من ذلك النوع الذي يؤثر ويدرس ويحدث في نظريات الفن أحداثًا.

وإنهم ليروون عنه جهدًا عظيمًا في متابعة الحركة الطبية في العالم، فهو كثير القراءة والنظر فيما يخرج في هذا الباب من المجلات والكتب والرسائل، حتى إذا وقعت له نظرية حديثة فاستوت لذهنه، أقدم على تطبيقها بنفسه، فكان نجاحه دائمًا كعزمه قويًّا جليلًا.

وبعد، فإن جهلًا أن يظن امرؤ أن للعبقريات في العالم أسبابًا معينة معروفة، فما كان هؤلاء العبقريون أصح من غيرهم أبدانًا، ولا أكثر قراءة، ولا أعكف من سواهم على

الدرس والتجريب وتقليب النظر، ولا أطلب ممن عداهم لتلك الأسباب المفروضة للبراعة والتبريز، فلقد كان البحتري شاعرًا في سن العشرين كما كان شاعرًا في سن السبعين، وكان ابن المقفع كاتبًا وهو ابن الثماني عشرة كما كان كاتبًا حين قبض وهو في الثامنة والعشرين، وكان رفاييل مصورًا رائعًا يوم جالت يده بالنقش كما كان مصورًا في غاية عمره. وكذلك كان علي إبراهيم جراحًا أول منجمه كما هو جراح اليوم، إنما هي مواهب من الله تعالى يتخير لها من يشاء من عباده، لم يتكشف العلم عن كنهها ولا سببها إلى اليوم.

وإنك لتجد الطبيب يصيب دائمًا في تشخيص العلة إلا قليلًا، وإنك لتجد الآخر يخطئ دائمًا في تشخيصها إلا قليلًا، ووسائلهما في الفن واحدة، وحظهما من العقل والعلم وسائر الأسباب متكافئة!

ذلك أن هنالك حسًّا دقيقًا غير تلك الأحساس المعروفة يكاد يتفطن به من آثره الله به إلى مطاوي الغيب، فيقع الشيء في نفسه يحسبه إلهامًا؛ لأنه لا يعرف له علة ولا يحيط منه بسبب، ومن هؤلاء الذين اصطنعهم الله لهذه الموهبة الدكتور علي بك إبراهيم.

ومما يذكر له أنه في سنة ١٩٠٢ لوحظت كثرة الوفيات في قرية موشة، من أعمال مديرية أسيوط، فندبه مدير الصحة، وكانت له به ثقة عظيمة، ليحقق الأمر، وكان بعد فتى ناشئًا، فأدرك أنها الكوليرا، فكتب إلى الصحة بهذا، وأرسل رجيع بعض المصابين لتحلله، فلم يره «التحليل» أثرًا للكوليرا، فراجعها وأرسل غيره، فكان الأمر كذلك. فصمم الفتى واستبد من ناحية، وصمم أطباء مصلحة الصحة وكيماويوها من ناحية أخرى، ثم أبى العلم وأبى «التحليل» الصحيح إلا أن يظهر رأي علي إبراهيم على تلك الآراء جميعًا، وكانت الكوليرا التي عصفت سنة ١٩٠٢ بالبلاد عصفًا شنيعًا، والتي أبلى هو فيها، حتى تقلص ظلها، بلاءً عظيمًا.

وسبحان من يقرن قضاءه باللطف، فإنه في الوقت الذي بث فيه هذا الترام في شوارع البلد وأزقته يدك الرءوس، ويحصد النفوس. وأطلقت آلاف الأوتومبيلات، واللوريات، والموتوسيكلات، تقد المتون، وتبعج البطون، وتأبى «الشفقة» على سائقها أن يرسلوها على خلق الله قبل أن يحشوا معاطسهم بالكوكايين، والهاروين، وغيرهما من البلاء المبين، حتى «يغيبوا» عن مشاهدة ما تنسف سياراتهم من الهام، وما تفري من الأجسام، وما ترسل على الناس من الموت الزؤام! ولا تنس، جعل الله لك في كل خطوة ألف سلامة، تلك السيارات العاصفة، ما لها من دون الله كاشفة. وتيك التي يتخذها أبناء

الذوات ومن انحدرت إليهم النعمة، وهي تنطلق انطلاق السهام، في أجساد الأنام، كان مهمتها في هذا البلد صنع أرامل وتخريج أيتام — سبحان الذي حين يبتلي البلد بكل هذا، يرسل فيه الدكتور علي إبراهيم، يجمع من أعضاء الناس ما تفرق، ويرم من أحشائهم ما تخرق، ويضم من أشلائهم ما تمزق، حتى أوشك أن يقطع على عزريل، رزقه من فنه الوبيل!

ولقد رأيت صديقًا لي من أهل الأخطار، لا يرى الدكتور علي إبراهيم يجوز في طريق أو يغشى ناديًا إلا صف قدميه، ووقف «زنهار»، ورفع يده بالسلام العسكري، فقلت له في هذا، فقال: «علشان ياخد باله مني يوم أحمل إليه»، فقلت له: يا لك من رجل مبالغ، فكان جوابه: على كيفك، لك ترمواي يترد عليه!

وجل من تعالى على النقص وتنزه عن العيب، فإن جراح الشرق كله لا يملك مستشفى يليق بجلالة محله، ولا بآلاف «المجاريح» الذين يطلبون مستشفاه من كل مكان، فقد سلطت عليه شهوة اقتناء «السجاجيد»، وألوان الطرف، وإحراز ما أبدعت يد كل فنان، وما افتن فيه كل صنع حسان، ومن كل ما رثت فيه العصور ونصل عليه لون الزمان، من دمى وتماثيل، وتصاوير وتهاويل، ونمارق ووسائد، ومعاضد وقلائد، وخشب منجورة، وأحجار محفورة، ومزاليج أبواب، وسروج دواب، وشرفات دور، و«شواهد» قبور، وضباب مصبرة، وجرار مكسرة ... إلخ، ولو نفض عنه بعض ما يحرزه من ذاك؛ لابتنى مستشفى يليق حقًّا بشيخ الجراحين! على أننا نترك الكلمة في هذا للمجلس الحسبي!

وبعد، فإن حقًّا على أهل مصر جميعًا، ومياسيرهم بنوع خاص، أن يسجدوا لله تعالى سجدة الشكر كلما أطلت شمس الصباح عليهم؛ اغتباطًا بأن علي إبراهيم غير ولوع بجمع المال، فلو كانت لغيره تلك الأصابع التي «تسرق الكحل من العين»، لآثر أن يكون «نشالًا»، إذن والله لسلَّ الآلاف، ولأحرز أكثر مما تجدي «الجراحة» أضعاف الأضعاف، ولما أبقى في جيب على كيس، ولا هنئ الناس بكريم ولا نفيس، ولكن قدر فكان، وسبحان من «يعطي الحلقة للي بلا ودان!»

الدكتور علي بك إبراهيم[1]

إن للبشري مرايا كثيرة تحدث عنها في كتابه (في المرآة) وكان الدكتور علي بك إبراهيم أحد مراياه فقد صور براعته في فن الجراحة والطب فقد كان من أبرع جراحي القرن العشرين وقام البشري بتصوير وتحليل شخصية الدكتور علي بك إبراهيم وقد افتتح مقاله بوصف لملامح الدكتور علي بك إبراهيم حيث يقول " رقيق الجسم ، أدني إلي أن يكون هزيله ، أسمر اللون، مستطيل الوجه ، غليظ الشفتين في غير قبح ، واضح الثنايا، لعينية بريق " وقد استخدم البشري أسلوبه الساخر كالمعتاد لكي يصف الدكتور بل استرسل في سخريته وقال " تاؤه بين التاء والطاء " أي أنه لا يستطيع نطق التاء جيداً لاهي تاء ولا هي طاء ، وقال أيضاً " وزايه بين الزاي والظاء " أي أنه لا يستطيع أيضاً نطق حرف الزاي فلا هو زاي ولا هو ظاء وقد استخدم الجمل القصيرة في وصفة حينما قال " وادع النفس" وهادئ السعي " وخفيف الروح" و " ريف المجلس " و " يقصد في طربه " و" يقصد في غضبه " وبين (طربه ، غضبه) جناس.

وقد كان البشري يستخدم بعض أبيات الشعر في كل مرآة وذلك من أجل النكتة الأدبية فقال في الدكتور علي بك إبراهيم :ـــ

فيه حد الفتي وحلم المزكي وحجي الكهل وارتياح الغلام

وكان يصدر كل مرآة بصورة صاحبها (الكاريكاتورية) ويكتب تحتها حكمة أو بيت من الشعر، وقد حدث بالفعل فقد رسم صورة للدكتور علي بك إبراهيم وهو يعالج أحد المرضي بطريقة كاريكاتورية وكتب تحت الصورة عبارة (فيه شفاء للناس).

وعاد للسخرية ثانية أقصد ثالثة أو رابعة أو من غير عدد فقال " لهذا الرجل أصابع ليست من جنس أصابع سائر الناس ، فإنها تسترعبك بطولها وانسجام خلقها ".

و إني لا أتفق مع البشري في هذا المقام لأن هذا خلق الله ولا يصح لنا أن نغيب في خلقه أو أن نسخر منه ، يمكننا السخرية من الصفات المكتسبة للشحص – و إن كان هذا أيضاً غير مستحب – ولا يمكننا السخرية من الصفات المكتسبة من خلق الله فقد قال الله تعالي في كتابه العزيز " **{لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[التين: ٤]**"[2]

وإذا نظرنا إلي قوله " إذا تحدث رأيته يستعين دائماً بسبابته ووسطاه، فما تزالان كالمقص في انفراج والتئام إلي أن يفرغ من حديثه" فهذه العبارة دليل علي شدة تدقيق

(1)عبد العزيز البشري ، في المرآة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧م

(2) سورة التين – الآية رقم (٤)

البشري في شخصية الدكتور علي بك إبراهيم وشدة معرفته له ومجاورته، وقد انتقي البشري ألفاظه في هذه العبارة فهي عذبه زجلة فقد صور شكل أصابعه بالمقص عندما نقفله ونفتحه ومن الواضح أنها عادة في الدكتور علي بك إبراهيم .

ومن أظرف نوادر الدكتور علي بك إبراهيم أن رجلاً من كبار الأغنياء قدم إليه يشكو علة لا تتصل بالجراحة، **فقال له** :- يا عم لا شأن لي بمرضك ، فاذهب إلي الدكتور فلان أو الدكتور فلان ، فهم الذين يحسنون تشخيص علتك ويقدرون علي علاجك.

فقال الرجل: بل إنما قصدت إليك أنت ولست أرضي أحداً يداويني غيرك ، وجئت معي بكذا وكذا من الأموال فخذ مني علي أن تعالجني، ما تشاء

فقال له الدكتور : و أنت إذا أعطيتني ما تشاء فلن أداوي علتك، لأنها ليست من عملي ولا تتصل بفني ، إنما أنا رجل جراح، فألح الرجل وتضرع ، فلما أعياه أمره **قال له :** اسمع يا عم ، لو تلف " كالون" في بيتك ، هل تجئ له بنجار أم بكواليني ؟ **فقال :** بل كواليني – **فقال :** مرضك هذا أنا لا اعرف فيه ، قال الرجل فماذا تصنع إذن ؟ قال له : أنا أفتح لك كرشك ، أكسر رجلك أقطع رقبتك . وهذا الذي أعرفه . فانصرف الرجل مقتنعا راضيا

وهذه القصة التي رواها عبد العزيز البشري يهدف من ورائها أن يعرفنا بالدكتور علي إبراهيم و أنه لم يكن طبيباً جشعاً ، وعندما كان يأتيه مريض فلا يعالجه بالجراحة أولاً بل يعالجه باطنياً بعدها يتجه إلي الجراحة.

ويظهر أسلوب البشري هنا بأنه يستخدم الأسلوب الساخر معالجة بعض الأمور الاجتماعية.

وقد عمد البشري في هذا المقال إلي بعض الألفاظ العامية و أوردها في سياق الكلام وذلك مثل (تسرق الكحل من العين) و(ونشالا) (يعطي الحلقة للي بلا ودان) ، واستخدم البشري أيضاً جناس مثل (مصبرة ، مكسرة) و (أبواب ، دواب) و (تماثيل ، تهاويل)

وهكذا انتهي البشري من تحليل شخصية الدكتور علي بك إبراهيم في صورة فكهة ضاحكة .

الخاتمة :

وبعد عرض وتحليل المقالين لإظهار (أسلوب البشري اتضح أن:-

١- البشري كاتب ساخر و أطلق عليه (شيخ الساخرين).

٢- لقبه عميد الأدب العربي " طه حسين " بـــ (كاتب النيل).

٣- لقب بـــ (جاحظ العصر).

٤- أراد أن يعالج عادة سيئة موجودة في الشوارع المصرية فكتب مقاله هن الشحاذين والباعة الجائلين.

٥- في كتابه المرآة سجل شخصيات مراياه بطريقة فكاهية ساخرة ومثال ذلك الدكتور علي بك إبراهيم حيث وصفه وصف ساخر جداً وقال أنه هزيل ، أســمر اللــون، مستطيل الوجه، غليظ الشفتين.

٦- يرسم صورة كاريكاتورية للشخصية ويكتب تحتها بيتاً من الشعر أو حكمة تعبــر عن الشخصية التي يتحدث عنها.

المصادر والمراجع:

(١) الدكتور جمال الدين الرمادي ، عبد العزيز البشري، أعلام العرب ٢٤ ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة، ص٤، ص٥.

(٢) عبد العزيز البشري، المختار، الجزء الأول: طبعه لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٣) عبد العزيز البشري ، في المرآة مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٧م